وطن الفأس !

لشاعر الريف محمود حسن اسماعيل
بدار العلوم

« فى مساء يوم الجمعة أول فبراير أقامت نقابة الموظفين فى ناديها حفلة تكريم لشاعر الريف محمود حسن إسماعيل أفندى الطالب بدار العلوم ، بمناسبة صدور الجزء الأول من ديوانه « أغانى الكوخ » ، وقد حيا الشاعر النابه أكثر من عشرة من الخطباء منهم الصحفى وفيهم المدرس بدار العلوم والمدرس بالجامعة المصرية ، والمفتش بوزارة المعارف . وقد أعجبتنا كلمة قالها المحرر الأدبى للمقطم ليلتئذ إذ قال : « إن هذه الحفلة لا يمكن أن تتهم بواعثها ، فان المحتفل به شاعر ناشىء لم يزد على أن يكون طالبا . وهؤلاء أساتذته وزملاؤه ورجال الأدب يكرمونه ، وما نراهم مدفوعين إلى ذلك التكريم ، حباً فى جاهه ، أو سعياً وراء ماله ، وإنما هى عبقريته حركتهم إلى ذلك التكريم » .

وفى نهاية الحفلة وقف المحتفل به فألقى القصيدة التى ننشرها فى هذا العدد يحيى المحتفلين به ، ولكنه يحيى معهم مذهبه فى الشعر . « المحرر »

فى الضُّحَى، والشعاعُ جاثٍ على النِّيـــل ، كما خرَّ ساجدٌ فى صلاته
والرَّياحينُ ناهلاتٌ منَ الطَّـــلِّ رحيقَ الصهباء من قطراته
خمرةٌ ســـلسَلَ الضِّياءِ طِلاها فجرَتْ كوثرًا على ربواته
عربَدَ الزَّهرُ من شذاها فأفشَى سرَّ جناته على نفحـــاته !
والفراشُ الوديعُ يَسبَحُ فى الأيـــك ، ويَحسُو العبيرَ من زهراته
ومن الطيرِ سَجعَةٌ ورنينٌ ومن النَّحلِ زَفَّةٌ فى رباته
وهُنا هُدهدٌ تولَّع فى الحقـــل بظلٍّ يَفيء من نخلاته
فيلسوفٌ أضاع حكمتَهُ الدهـــرُ فرام الرشاد من نقراته !
وقَصادٌ يَزِقُّ فى ضَحْوَة النُّو رِ ، فيُحْيِي الربيعَ فى خطراته

فتَنَتْهُ من القنابر عَـذرا ءِ ، فهاج الدَّفينُ من صبَوَاتِهْ
والعصافيرُ شاديات على الدَّوْ حِ ، تُناغى بشَدْوها شجَرَاتِهْ
جنَةٌ نَضرَةُ الخمائِل فى الرِّيـــفِ ، نَماها مُعذَّبٌ فى حَياتِهْ
ناسكٌ فى الحقول ، هَيْمَانُ بالأرْ ضِ ، يجلّى بتُرْبها دَعَوَاتِهْ
حمَلَتْ فأسُهُ من الغيْب سِرًّا حيَّر العقلَ كامنٌ منْ صفاتِهْ
حَطَبٌ يابسٌ يَمرُّ على الصَّخْـــرِ ، فتزهو الورود فى جَنَباتِهْ !
رَصَدٌ فى الحديد ، لو أنَّ « هارو تَ » رَقاهُ لضَلَّ فى قَسَماتِهْ !
حكمة تَبْهَرُ النُّهى حطَّمَ العِلْـــمُ لديها العظيمَ من مُعْجزاتِهْ
لو رنا الملحدُ العنيـــد إليها وهْوَ جَمُّ الضَّلالِ من نَزغاتِهْ
رَجَمَتْ غيَّهُ ، وكادت جلالاً تسكبُ الرشْدَ والهدى من لهاتِهْ

***

جنَّةٌ ، برَّةُ الأفانين ، لفَّا ءِ ، نماها معذَّبٌ فى حياتِهْ
شاعرٌ فى الضحى يُغَنِّى فتُصْغى كلُّ سوسانةٍ على رابياتِهْ
سَرَق الطيرُ شدْوَه حين فاضَتْ خَلَجاتُ الإيمانِ من أُغْنياتِهْ
وبكى النبْتُ شجْوَه حين غنَّى وأذاع الشجونَ فى نَبَراتِهْ
هل رأيتَ النَّدَى مدامعَ زَهْرٍ فِضْنَ من رِقَّةٍ على وَجَناتِهْ ؟
أتواسيه فى الضَّنَى نبْتةُ الحقْـــلِ ، ويُغْضى الإنسان عن حَسَراتِهْ ؟
تلكَ أعجوبةُ الوفاء ! فيـا ويْـــحَ لشعب يهيم في غَفَلاتِهْ !

***

والسَّواقى مُفَجَّعاتٌ عليـــه نائحات تُريقُ من عَبَراتِهْ
عنـــدها الثَّوْر قيَّدَتْـهُ يدُ الظُّلْـــمِ ، وهـذا حليفُـه فى سِماتِهْ !

والشواديف ـ كم أرنّتْ بأذنيــــه ، وصاحتْ تئنُّ فى مزرعاتهْ!
شهدتْ شملةً عليــه تحاكى كفناً مزّقتْ بوالى رُفاتهْ
صبّغَ الحظُّ لونها بسوادٍ من أسى نحسه ، ومن عثراتهْ
نصف عريانَ الوسرى نسمُ الفجــــر عليها تطير من خفقاتهْ
عبستْ والضياءُ مبتلجُ اللمــــحِ تميس الحقول فى هالاتهْ
فحكتْ خطرةً من الهمِّ رانتْ فى ضمير الضحى على قنواتهْ !
يابسُ الكفِّ من عناءٍ وبرحٍ شقّقَ الكدُّ بالضنى أنملاتهْ
وهوَ إن مسَّ زهرةً لم تفتّحْ ، نفّحتْ عطرها على راحاتهْ ؟
كم صبا السُّنبلُ الحبيبُ إليه ساكباً بين راحه قبلاتهْ
وهفتْ نورة من الفول بيضا ء كطيف الايمان فى صلواتهْ
عشقَ الزهرُ كفّهُ فتمنّى خُلدَ أطرافها على ورقاتهْ !

* * *

إيه ياجنّتى ! لقد صدح النا ىُ ، وروحى تفيض من نفثاتهْ
شفّنى فى حماكِ قوم حيارى ، ندبوا نحسهم على صفحاتهْ
نضّرواغرسكَ الرطيبَ ، وناموا ، فعدا غاصب على ثمراتهْ
قطفَ اليانع الشهىَّ ، وألقى لبنيكِ الجياع ، فضلَ فتاتهْ !
إيه ياكوخى الحبيب ! ألا تسـ ـمعُ شدواً سكرتُ من صدحاتهْ ؟
غزل بالورود عفُّ الأمانى عبقرىٌّ فنيتُ فى نغماتهْ
ودّتْ الغيدُ لو تكلّلنَ منهُ ونظمنَ الحلىَّ من سجعاتهْ
حسدَ القصرُ لحنه ، وتمنّى خفقةً للبروج من أبياتهْ
قد غنمتُ الوفاءَ والمجدَ منه ومُنحتَ الخلودَ من أغنياتهْ !